دروس
مستفادة من الفاتحة

لفضيلة الشيخ

عبد الرزّاق بن عبد المحسن البدر

حفظهما الله تعالىٰ

[شريط مفرّغ]

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد،

تذكَّرتُ هـٰذا المساء شيخنا العلامة المحدِّث حمَّاد الأنصاري -رحمه الله-، كثيراً ما سمعنا منه دروساً وكلماتٍ في تفسير سورة الفاتحة، وتفسير سورة الإخلاص، وفي مناسباتٍ عديدةٍ يُطلَب منه إلقاء كلمةٍ أو درس للحاضرين، فكان يَطلُب من أحد الحاضرين قراءة سورة الفاتحة أو سورة الإخلاص، وأحياناً سور أخرى من القرآن الكريم، ثم يعلِّق بما ييسِّر الله له من المعاني المستفادة مِن هـٰذه السورة أو من السور التي كان يتكلَّم عليها، وكما ذكرتُ كثيراً ما سمعت منه دروساً في هـٰذه السورة وفي سورة الإخلاص، وكنّا في كلِّ مرةٍ نستمع إلى فوائدَ جديدة، وكان بعض طلاب العلم قد يستغرب من إكثار الشيخ -رحمه الله- من الكلام على هـٰذه السورة العظيمة وبيان دلالتها في المناسبات المختلفة، ولكن لا غرابة لأنّ حاجة الأمة إلى هـٰذه السورة وإلى فهمها وإلى العناية بها وإلى الوقوف مع دلالاتها ومعانيها حاجةٌ شديدةٌ، ولأجل ذلك شُرِعَ لنا قراءتها في كلِّ ركعةٍ من كلِّ صلاة، فهي السَّبع المثاني التي تُثنّى في كلِّ صلاةٍ، وتُقرَأ في كلِّ ركعةٍ، ولا صلاة لِمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب، وهـٰذا التّكرار والتثنية والإعادة لتلاوة هـٰذه السورة في كلِّ ركعةٍ من كلِّ صلاةٍ يدلُّ دلالةً بيِّنة على أهميَّة العنايةِ بهـٰذه السورة من حيث التلاوة ومن حيث التدبُّر ومن حيث التطبيق لمعاني هـٰذه السورة ومقاصدها وغاياتها العظيمة.

وهـٰذه السورة اشتملتْ على شفاء القلوب، وزوال الأسقام، وذهاب الأمراض، وتحقيق الإيمان، وغرس التوحيد، وردّ الباطل، وقمع الشبهات.. إلى غير ذلك، واشتملت عليه ودلَّت عليه من أعظم ما يكون من الدلالة والبيان.

ومن أسماء هـٰذه السورة (أم القرآن)، قد قال أهل العلم في معنى ذلك أنها اشتملت إجمالا على ما اشتمل عليه القرآن تفصيلاً، ولهـٰذا فالقرآن كلُّه بيانٌ لهـٰذه السورة وشرحٌ وتفصيلٌ، وهـٰذه السورة فيها إجمالٌ لِما في كتاب الله العزيز، فهي مشتملةٌ على غاية المقاصد العظيمة ونهاية المَطالِب العليَّة، ومشتملة على تقرير الإيمان، وبيان التوحيد، وغرس العقيدة، وردِّ الباطل بجميع أصنافه.

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- أنّ مَن فَهِمَ هـٰذه السورة فَهماً صحيحاً وتدبَّرها وأحسن في القيام بمقاصدها ودلالاتها فإنه يسلم -بإذن الله- من كلِّ باطلٍ وبدعةٍ، وإن أصابه شيءٌ من ذلك فإنه

يصيبه لَمَماً ولا يَستقرّ؛ لأنّ لديه تأصيلاً بليغاً وتقريراً عظيماً وتجلية بيِّنةً لمقاصد هـٰذا الدِّين وغاياته العظيمة وأهدافه الجليلة.

لا غرابة في أن تكون هـٰذه السورة مع المؤمنين في أيامهم كلِّها يردِّدونها ويتأمَّلون معانيها ويقفون عند دلالاتها ويعملون بغاياتها ومقاصدها.

جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- قال: بينا جبريلٌ قاعدٌ عند رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذ سمع نقيضاً -يعني صوتا-من جهة السماء فرفع رأسه وقال: ((**هـٰذا بابٌ فُتِحَ مِن السماء لم يُفتح إلا اليوم، نزل من هـٰذا الباب مَلَكٌ لم ينزل إلا اليوم**)) بابٌ من السماء يُفتَح لأوّل مرّة، ومَلَكٌ من السماء ينزلُ لأوّل مرّة، أتى هـٰذا الملك إلى النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وقال: ((**أُبشِّرك بنورَين أوتيتَهما لم يؤتَهما نبي قبلك؛ فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أوتيته**)) رواه مسلم في صحيحه.[1]

وجاء في الحديث الصحيح حديث أبي سعيد بن المعلّى -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: دعاني رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكنتُ في صلاةٍ فلم أُجب، فقال لي: ((**مالي دعوتُك فلم تُجب**))؟ قلت: إني كنتُ في صلاة، قال: ((**ألم يَقُلِ الله: ﴿اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾**[الأنفال:٢٤]؟))، ثم قال لي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ((**لأعلِّمنّك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد**))،[2] ولاحظ هـٰذا التشويق والترغيب في الخير وشدِّ الانتباه، فهـٰذا أبو سعيد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لمّا قال له النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هـٰذه الكلمة صار في غاية الشوق وتمام الرّغبة في معرفة هـٰذا الأمر العظيم ويتحرّى متى يستمع إلى هـٰذه الفائدة الجليلة، وكثيراً ما يأتي في أحاديث النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- هـٰذا التشويق والترغيب في الخير، قال: فلمّا أخذ النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بيدي ولمّا أرادنا الخروج من المسجد قلت: يا رسول الله! ألم تَقُلْ أنك ستعلِّمني أعظم سورة في القرآن الكريم قبل أن نخرج من المسجد؟ وهـٰذا يدلُّنا على شدَّة شوقه وانشغال قلبه بهـٰذا الأمر وشدَّة رغبته في معرفته (ألم تقل لي أنك ستعلمني أفضل سورة في القرآن الكريم قبل أن نخرج من المسجد؟) قال: ((**﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وهي أم القرآن والسبع المثاني**))، فهـٰذه السورة هي أم القرآن، وفاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني.

---

(١) مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، حديث رقم (٨٠٦).

(٢) **البخاري**: كتاب التفسير، باب ما جاء في سورة الفاتحة، حديث رقم (٤٤٧٤).

فاتحة الكتاب لأنها أوّل سورة تواجهكَ في كتاب الله – ﷻ- .

وهي أم القرآن؛ لأنها اشتملت على ما اشتمل عليه القرآن .

وهي السبع المثاني؛ لأنها سبع آيات، وشُرِع تثنيتها وإعادتها في كلِّ صلاة، وهـٰذا أمرٌ اختصت به هـٰذه السورة وفُضِّلت به على غيرها من سور القرآن.

أنت تقرؤها كلَّ يوم فرضاً سبع عشرة مرة، وإذا كنت تحافظ على النوافل فإنك تقرؤها في اليوم مراتٍ كثيرةٍ، ولهـٰذا لا يحصي عدّ قراءتها في حياة المسلم إلا الله سبحانه وتعالى.

أنتَ نفسك لو بحثتَ في مراتِ قراءتك لهـٰذه السورة ما تحصي ذلك، لا يحصيها إلا الله، آلاف المرات، فهـٰذا كلُّه يبيِّن عِظَم وشأن هـٰذه السورة.

ولعِظَمِ شأنها تعدَّدت أسماؤها، وأسماء هـٰذه السورة دالَّة على معاني جليلة فيها، لأنّ الأمر كلّما عَظُم كثرت أسماؤه الدالة على معانيه الجليلة.

فسورة الفاتحة لها أسماء كثيرة جداً منها ما دلّ عليه القرآن، ومنها ما دلت عليه سنة النبي – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ومنها ما جاء في كلام الصحابة ومن اتبعهم بإحسان، مما يدلُّ على شدَّة تعلُّقهم بها وحسن فهمهم ومعرفتهم لمقاصدها، مثل ما جاء عن عبدالله بن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- تسمية هـٰذه السورة بـ(الأساس) وهو واضحٌ في هـٰذه السورة، لأنها تأسِّس العقيدة، وتقرِّر الإيمان، وتؤصِّل الإيمان، وتنمِّي الإخلاص، وتقوِّي الصلة بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-، فما أجلّ شأنها وما أعظم قدْرها وما أرفع مكانها.

والمسلم لا ينبغي أن يكون حظُّه من هـٰذه السورة قراءة ألفاظها دون وقوفٌ منه على معانيها ودلالاتها ودون أيضاً عناية بتطبيق مقاصدها وغاياتها.

وإذا نظرتَ أحوال الناس مع هـٰذه السورة ترى في المسلمين من لا يحسن قراءة هـٰذه السورة ويلحن فيها لحنا يحيل معناها ويُغيِّر دلالاتها.

وترى فيهم من يحسن قراءة هـٰذه السورة ويأتي بألفاظها صحيحة سليمة لكنه لا يفهم معناها؛ بل ربما ترى في بعض الجهَّال وضُلَّال الناس مَن يقرأ هـٰذه السورة ويحافظ على قراءتها؛ لكنه ينقض غاياتها ومقاصدها -عياذاً بالله من ذلك- كمن يدعو غير الله، ويلتجئ إلى غيره، ويطلب المَدَدَ من غيره، ويعوذ ويلوذ بغيره، فأين هو وهـٰذه السورة؟! وأين هو ومقاصدها ودلالاتها؟! ولهـٰذا تلاوة هـٰذه السورة ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾[البقرة:١٢١] إنما يكون ذلك بأمور ثلاثة، كلها يشملها التلاوة:

وقراءة الألفاظ قراءة صحيحة.

وفهم المعاني والدلالات فهماً صحيحاً سليماً.

واتّباع مقاصد القرآن والعمل بدلالاته.

ولهـٰذا تلاوة سورة الفاتحة حق التلاوة يكون بهـٰذه الأمور الثلاثة:

- بحسن القراءة لها.
- وحسن الفهم لمعانيها ودلالاتها.
- وحسن القيام بتطبيق مقاصدها وغاياتها.

فالاتباع لمعاني القرآن ودلالاته هو من التلاوة، يقال: تلا فلانا فلانا أي تبعه، ولهذا من لا يتبع ما جاء في القرآن ولا يعمل بما دل عليه القرآن له حظ من هجر القرآن بحسب تفريطه باتباع القرآن والعمل به.

هـٰذا التقديم أردت أن أنبه به إلى حاجتنا الشديدة إلى العناية بهذه السورة العظيمة، قراءة وتدبرا، وتطبيقا، إلى حاجتنا الشديدة إلى تلاوة هـٰذه السورة حق تلاوتها.

وانظر إلى لفتةٍ كريمةٍ من الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– في هـٰذا الباب حيث يقول –رحمه الله–: "ينبغي أن ينبّه عوام المسلمين عندما يقرؤوا الفاتحة أنهم في دعاء لله – عز وجل – .

انظر هـٰذه اللفتة (أنهم في دعاء لله عز وجل) عندما يقول المسلم:﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ﴾، ينبغي أن ينبّه أنه يدعو الله بأكمل ما يكون من الأدب في الدعاء والثناء والتمجيد والتعظيم لله–سبحانه وتعالى–، لكن الحال أن كثيرا من الناس يقرأ الفاتحة دون أن يشعر أنه يدعو الله، فأين التدبُّر؟ وأين التلاوة؟ وأين العناية بهـٰذه السورة العظيمة؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "تأمَّلت الأدعية –يعني الأدعية المأثورة الواردة– فوجدتُ أنّ أعظمها وأجلّها سؤالُ الله الهداية، ووجدتُ ذلك في فاتحة الكتاب".

فهل شعر تاليَ القرآن هـٰذا المعنى الجليل؟ وهل استحضر معاني الهداية التي يطلبها من الله؟ وهل استحضر افتقاره إلى الله واحتياجه إليه في أن يهديه سواء السبيل وأن يهديه صراطه المستقيم؟ وهل استحضر صراط الله المستقيم الذي يطلب من الله مراتٍ وكراتٍ أن يهديه إياه؟ وهل استحضر السُّبل الناكبة عنه والطرق المنحرفة والتي يسأل الله عز وجل مرات وكرات أن يجنبه إياها؟

فالحاجة إذاً شديدة وماسة إلى أن نعتني بسورة الفاتحة وأن نهتم بتلاوتها وتدبرها وفهمها وتحقيق غاياتها ومقاصدها.

وموضوعنا هو:

(دروسٌ مستفادةٌ مِن سورةِ الفاتحةِ)

والفاتحةُ مليئةٌ بالدروسِ، ولا عَجَبٌ، فهي كما عرفنا أمُّ القرآن، ومشتملةٌ على ما اشتمل عليه القرآن كله، فما في القرآن موجود على وجه التفصيل موجود في سورة الفاتحة على وجه الإجمال، فهي مليئة بالدروس.

ومن دروس الفاتحة: دلالتها على التوحيد الذي هو أعظم المقاصد وأجلّ الغايات، دلالتها عليه بأركانه العظيمة وأقسامه الجليلة؛ توحيد الله في **ربوبيته**، وتوحيده في **أسمائه وصفاته**، وتوحيده في **ألوهيته**.

وقد اشتملت هـٰذه السورة على هـٰذه الأقسام الثلاثة للتوحيد، وقرَّرتها بأجمل ما يكون من تقرير، وأوضح ما يكون من بيان، ومع ذلك ترى في من ينتمي للإسلام من يشكِّك في أقسام التوحيد الثلاثة، مع أنها ظاهرة بيِّنةٌ من هـٰذه السورة (سورة الفاتحة)، فهل تلا هؤلاء فاتحة الكتاب حق تلاوتها؟! وهل فهموها حق فهمها؟! مَن لا يُفرِّق بين معاني الربوبية ومعاني الألوهية وأسماء الله وصفاته أين فهمه لفاتحة الكتاب؟؟

فاتحة الكتاب قرَّرت التوحيد أجمل تقرير، وقرَّرت ما ينبغي أن يكون عليه العبد من توحيدٍ لله في ربوبيته؛ بالاعتراف بأنه وحده الخالق وأن ما سواه مخلوق، وأنه وحده الرَّب وما سواه مربوب ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، والعالَمون: كلُّ من سوى الله، فالرَّب واحد وهو الله وما سواه مربوب، ومن يثبت لله ربوبيته يثبت له كلَّ معاني الربوبية من الخلق والرَّزق والإيجاد والتصرُّف والإحياء والإماتة والتدبير.. وغير ذلك من أفعاله -ﷻ-، فهو كلُّه من الإيمان بربوبيته ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ثم في قولك في السورة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هـٰذا من إيمانك بربوبية الله جل وعلا، فأنت لا تستعين إلا بربِّ العالمين الذي بيده أزمة الأمور، ولهـٰذا فإنّ سورة الفاتحة كما أنها مشتملةٌ على بيان التّوحيد بأقسامه الثلاثة فهي مشتملةٌ على ما ينبغي أن تكون عليه حال التوحيد، فيا من آمنت بأنّ الله وحده الرب لا تلتجئ إلا إليه، ولا تعتمد إلا عليه، ولا تستعن إلا به، ولا تفوِّض أمورك إلا إليه، فهو ربُّ العالمين، وهو خالقهم أجمعين، وهو الذي بيده أزمّة الأمور.

وفي إيمانك بألوهية الله –عز وجل – الذي دلَّ عليه اسم الله ﴿الْحَمْدُ للّهِ﴾ فيه إيمان منك بأنه وحده المعبود ولا معبود بحقٍّ سواه، ولهـٰذا فأنت تقرأ في هـٰذه السورة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هـٰذا متعلِّق باسمه (الله)، لأنّ الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، كما قال ابن عباس –رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: "الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين".

﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ متعلّق باسمه الرب.

ثم إيمانك بأسمائه ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ تؤمن بأسماء الله، وتؤمن بدلالاتها، والأوصاف التي دلّت عليه، فأسماء الله ليست أعلاما مجرَّدة لا تدلُّ على معنى بل هي أعلام وأوصاف، أعلامٌ دالةٌ على معاني، ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ دالان على ثبوت الرحمة لله – عَجَّلَّ–، والرحمن دالٌّ على الوصف القائم به –سبحانه–، والرحيم دالٌّ على تعلُّق ذلك بالمرحوم ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)﴾[الأحزاب:٤٣].

ومن رحمته – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– بمن شاء من عباده أن يهديه إلى صراطه المستقيم، فمن رحمه الله هداه صراطه المستقيم، ولهـٰذا طلبك الهداية في هـٰذه السورة لهو تعلُّق بإيمانك بأنه الرّحيم، فإن أدخلك في رحمته هداك إلى صراطه المستقيم، ومن لم يهده صراطه المستقيم فهو خارج من رحمة الله، لا حَظَّ له ولا مطمع له في رحمة الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ–، فانظر دلالة هـٰذه السورة على أنواع التوحيد الثلاثة، ودلالتها على ما ينبغي أن يكون عليه صاحب التوحيد ومحقِّق التوحيد من عمل وعبوديةٍ وذلٍّ وخضوعٍ وانكسارٍ بين يدي الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ–، محقِّقاً توحيده، عاملاً بطاعته، مجداً ومجتهداً في ما يقرِّب إليه.

هـٰذه الأقسام الثلاثة للتوحيد بُدِئ بها القرآن وختم بها القرآن في سورة الناس، وقد جاءت على الترتيب الذي جاءت به سورة الفاتحة، وجاءت في مواضع كثيرة من القرآن بل إنّ القرآن كله توحيد لله –عَجَّلَّ– وبيان للتوحيد وأقسامه وفضله ومكمِّلاته وثواب أهله وعقوبة من خالفه وتركه.

وسورة الفاتحة بيَّنت فضل التوحيد وأقسام التوحيد وأنّ الهداية إلى التوحيد منَّة من الله وتوفيق، وبيَّنت سبل الناكبين عن التوحيد، فما أعظم بيان هـٰذه السّورة للتوحيد الذي خُلِقنا لأجله وأُوجِدنا لتحقيقه.

ومن دروس هـٰذه السورة دلالتها على أركان التعبُّد القلبية التي ينبغي أن تصاحب المسلم في كلِّ عبادةٍ وكلِّ طاعة يتقرَّب بها إلى الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ–، فكلُّ عبادة يتقرَّب بها إلى الله لابدّ أن تقام على أركانٍ في القلب ثلاثة:

- حبُّ الله.
- رجاءُ ثوابه.
- خوفُ عقابه.

فأنت تصلي وتصوم تتصدق وتحج وتأتي بالطاعات حبّاً لله ورجاء لثوابه وخوفاً من عقابه، فهٰذه أركان التعبُّد القلبية، وقد جُمِعَتْ في قول الله -تعالى-: ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)﴾[الإسراء:٥٧]، الحب في قوله: ﴿يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾، والرجاء في قوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾، والخوف في قوله:﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾.

فلابدّ في كلّ عبادة يتقرَّب بها إلى الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- من أن تقام على هٰذه الأركان، وهي أن تعبد الله حباً فيه ورجاءً في ثوابه وخوفاً من عقابه، ولا يجوز أن يُعبد الله بالحب ولا أن يُعبد الله بالرجاء وحده، ولا أن يعبد الله بالخوف وحده؛ بل يعبد بالحب والرجاء والخوف، كما قال بعض السلف: "مَن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومَن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومَن عبد الله بالخوف وحده فهو حَروريّ، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمنٌ موحِّد".

عبادة الله بالحب وحده هٰذه طريقة المتصوِّفة ولا سيما غُلَاته؛ يقولون: "نحن نعبد الله حباً فيه لا رجاءً لثوابه ولا خوفاً من عقابه، والذي يعبد الله رجاء ثواب الله ورغبة في الجنة وخوفاً من النار فهٰذه عبادة تُجَّار، يقدِّم ليأخذ"، وأنبياء الله والتابعون لهم من عباد الله المؤمنين يعبدون الله -عَزَّ وَجَلَّ- وهم يرجون منه رحمته وجنته ويخافون من عقابه وناره، وقد كان - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يقول في دعائه: ((**اللهم إني أسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قول أو عمل**))، ولمّا قال ذلك الرجل: يا رسول الله! إني لا أُجيد دَندنَتك ولا دَندنة معاذٍ -يعني الدعاء- الذي تقوله أنت ومعاذ ما أُحْسنه، قال:((**فماذا تقول؟**)) قال: أقول اللهم إني أسالك الجنة وأعوذ بك من النار، فقال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ((**ونحن حولها نُدندِن**))[1] يعني أعمالنا وعبادتنا دندنةٌ حول الجنة والنار؛ نريد من الله أن يدخلنا الجنة وأن ينجينا من النار، وكان - عَلَيْهِ

---

[1] **سنن ابن ماجه**، كتاب الدعاء، باب الجوامع من الدعاء، حديث رقم (٣٨٤٧).

الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- يُكثِر في دعائه الاستعاذة من النار وسؤاله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- الجنة، وكان مِن أكثر دعائه -في صحيح مسلم-: ((**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**)).[(1)]

فكيف يقول هؤلاء المجرمون المعتدون إنّ هــٰذه عبادة التجّار، ثم إنّ هــٰذا الاعتقاد عند هؤلاء أوجَد في نفوسهم استخفافاً بالجنة واستخفافاً بالنار واستهانةً بأمرهما، ولهــٰذا كَثُرَ في كتب هــؤلاء الغلاة من المتصوِّفة كلاماً بغيضاً وألفاظاً ذميمةً في الاستخفاف بالنار والاستخفاف بالجنة والاستهانة بأمرهما، وكلُّ ذلك وليد عقائدهم الباطلة، فالله –عَزَّ وَجَلَّ- لا يُعبَد بالحب وحده، يُعبَد بالحبِّ والرجاءِ والخوفِ، نعبده –سبحانه وتعالى- لأننا نحبُّه ونحبُّ عبادته ونحبُّ ما يقرِّب إليه، ونعبده لأننا نريد ثوابه وجنته، ولأننا نخاف من عقابه وناره ﴿**قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**﴾[التحريم:٠٦] أي بعبادته والتقرُّب إليه – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-.

ومَن عَبَدَ الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، والمرجئة طريقتهم هي إعمالُ نصوصِ الرجاء والوعد وإهمالُ نصوص الوعيد.

ومَن عَبَدَ الله بالخوف وحده فهو حروري؛ أي من الخوارج الذين يُعمِلون نصوصَ الوعيدِ والخوفِ ويُهمِلون نصوصَ الوعد والرجاء، فالله يُعبَد بالحب والخوف والرجاء.

فهــٰذه الأركان الثلاثة للتعبد- الأركان القلبية للتعبُّد- اشتملت عليها سورة الفاتحة، وما رأيت أحداً نبَّه على هــٰذه الفائدة الجليلة قبل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله–، فقد نبَّه –رحمه الله– على هــٰذه الفائدة في رسالةٍ له في بعض فوائد سورة الفاتحة، فذكر من فوائد هــٰذه السورة أنها اشتملت على أركان التعبُّد القلبية؛ الحب والرجاء والخوف ، وانظر دلالة هــٰذه السورة على هــٰذه الأركان الثلاثة:

أما الحب في قولك: ﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، والحمد كما قال العلماء: هو الثناء على الله مع حبه، أما إذا كان الثناء عَرِياً من الحبِّ خالياً فإنه يسمَّى مدحاً مجرّداً، أما إذا كان عن حبٍّ للممدوح فهو حمد، ففي قولك: ﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ حب الله؛ لأنك تحمد الله –عَزَّ وَجَلَّ-، وفي حمدك له قيام لحبه في قلبك سبحانه، وهو–عَزَّ وَجَلَّ- يُحمَد على أسمائه الحسنى وصفاته العظيمة،

---

(1) **البخاري**: كتاب الدعوات، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((ربنا آتنا في الدنيا حسنة))، حديث رقم (٦٣٨٩).
مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، حديث رقم (٢٦٩٠).

ويُحمَد على مِننه التي لا تُعَدُّ ولا تحصى، وعطاياه الكريمة، وأنت إذا عرفت الله وعرفت أسماءه وعرفت صفاته وعرفت نعمه عليك ازددت حبّاً له، فالحمد فيه حب الله.

﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ إذا تلوتها متدبِّراً معناها، عارفاً بدلالاتها واستحضرت رحمة الله فما الذي يقوم في قلبك؟ وما الذي يطمع فيه قلبك أو يرجوه؟ ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾[الإسراء:٥٧]، فإذا قلتَ: ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ تحرك في قلبك الرجاء، كما أنك إذا قلت: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تحرك الحب.

فإذا قلت: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وأنت تتأمّل معنى هـٰذه الآية، والدِّين هو يوم الجزاء والحساب والعقاب والوقوف بين يدي الله ومجازاة الناس ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)﴾[الإنفطار:١٧-١٩]، فأنت إذا تلوت ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ مستحذِراً معناها أيُّ شيءٍ يقوم في قلبك؟ أليس يقوم في قلبك خوف الله -جل وعلا- خوف مالك يوم الدِّين ومالك يوم الجزاء والحساب والعقاب؟، فإذا تلوت ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قام في قلبك الخوف.

عندئذ تقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وهـٰذه الغاية، والغاية هي العبودية، عبودية الله والقيام بطاعته والذل له – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

لكن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لم تأتِ إلا بعد أن أرسيت أركانها، فأنت كأنك تقول إياك نعبد بالحب الذي دلَّ عليه ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وبالرجاء الذي دلَّ عليه ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾، وبالخوف الذي دلَّ عليه ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وهـٰذا التنبيه من هـٰذا الإمام -رحمه الله- من أَلْطَفِ ما يكون وأجمل ما يكون في ربط الناس بدلالة السورة العظيمة ومقاصدها الجميلة.

ومن فوائد هـٰذه السورة ودروسها العظيمة اشتمالها على شرطَي قبول الأعمال، لأنّ الأعمال التي يُتقرَّب بها إلى الله -ﷻ- لا يكون إلا بتحقيق شرطَين:

- إخلاصٌ للمعبود.
- ومتابعةٌ للرسول – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-.

كما قال الحسن البصري -رحمه الله- في قوله -تعالى-:﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[هود:٠٧، الملك:٠٢] قال: "أخلَصُه وأَصوَبه"، وقيل: يا أبا علي! وما أخلَصه وأصوَبه؟ قال: "إنّ العمل إذا كان خالِصاً و لم يكن صواباً لم يُقبَل، وإذا كان صواباً و لم يكن خالِصاً لم يُقبَل، حتى يكون خالصاً صواباً،

والخالِص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة"، فهـٰذان شرطان لا قبول لأيّ عمل من الأعمال إلا بهما، وسورة الفاتحة فيها هـٰذان الشرطان؛ الإخلاص والمتابعة.

أمّا الإخلاص في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فإنّ هـٰذا الأسلوب فيه حصر، تقديم المعمول على العامل يدل هـٰذا على الحصر، أصل الجملة: نعبدك ونستعين بك، فلمّا قدَّم قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ دل على الحصر؛ أي نعبدك ولا نعبد غيرك ونستعين بك ولا نستعين بغيرك، وهـٰذا هو الإخلاص.

الإخلاص أن تأتي بالعبادة صافية نقية لم يرد بها إلا وجه الله، هـٰذا هو الإخلاص، الإخلاص هو الصفاء والنقاء، والله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يقبل العبادة إلا بهـٰذه الصفة الذي دل عليها قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، أي: إياك نَخُصُّك بالعبادة ولا نعبد غيرك، ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: منك وحدك نطلب الإعانة لا نطلبها من غيرك، والله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يقبل أيّ عمل إلا إذا كان على هـٰذه الصفة، إلا إذا كان قائماً على هـٰذا الأساس، مصروفاً لله وحده وليس لغيره فيه أي شركة.

وقد جاء في الحديث القدسي أنّ الله -تعالى- يقول: ((**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**))،[1] فهو - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لا يقبل من العمل إلا الخالص.

ولا بأس أن نقف قليلاً لأن فهم معنى الإخلاص في اللغة، يقول الله -تعالى-: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٦)﴾[النحل:٦٦] خذ من هـٰذه الآية درساً في فهم معنى الإخلاص، ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ ما معنى خالصاً؟ أي صافياً نقياً، يخرج اللبن من بهيمة الأنعام وهو حين خروجه يخرج من بين فَرْثٍ ودَمٍ، حتى إنّ بعضهم يقول: إنه يخرج للتو عند حلبه من بين الفرث والدم ولا ترى فيه قطعة فرث ولا نقطة دم، خالص: أي صافي نقي مصفّى بأحسن ما تكون التصفية، بحيث أنه لتوّه خرج من بين الفرث والدم وليس فيه قطعة فرث ولا نقطة دم، ثم إنك مع علمك بمخرجه فهو سائغ لك ﴿سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ يستسيغونه يستلذُّونه ويَتطعَمونه، والله -جلا وعلا- لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصاً لوجهه؛ أي صافياً نقياً لم يُرَد به إلا وجه الله، فالمخلص لا

---

[1] **مسلم**: كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، حديث رقم (٢٩٨٥).

يسأل إلا الله، ولا يستغيث إلا بالله، ولا يتوكل إلا على الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يذبح إلا لله، ولا يصرف أي طاعة إلا لله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–، فهو المعبود بحق ولا معبود بحقٍّ سواه.

فسورة الفاتحة فيها تقرير للإخلاص بأروع ما يكون وبأحسن ما يكون من بيانٍ.

الشرط الثاني: وفيها وهو المتابعة للرسول – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– وهو في قوله: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾، فأنت تسأل الله مرات وكرات في كلِّ مرةٍ تقرأ هذه السورة تسأل الله أن يهديك الصراط المستقيم، وما الصرط المستقيم؟ قال الله –تعالى-:﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣)﴾[الشورى:٥٣] فالصراط المستقيم هو سبيل النبي الكريم – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ–، هو السبيل الذي دعا إليه رسولنا – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٠٣]، ففي قولك: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ فيه متابعة للرسول – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ–، ولزوم نهجه، والحرص على سنته وهديه، فإنّ الصراط المستقيم سبيله – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ–، وأنت عندما تقول: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ هذا منك دعاءٌ وطلبٌ من الله –عَجَّلَ–، وأهل العلم –وهذه فائدة جليلة– أهل العلم يقولون: مَن دعا الله –عَجَّلَ– عليه أن يُتبع دعاءه ببذل السبب لأنّ الدعاء طلبٌ ورجاءٌ واستعانةٌ بالله –عَجَّلَ– فإذا طلبتَ من الله ودعوته ورجوته اتّبع هذا الدعاء وهذا الرجاء ببذل السبب؛ كما قال –عليه الصلاة والسلام–: ((واحرص على ما ينفعك واستعن بالله))،[1] فأنت إذا قلت: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ فإنه يلزمك أن تبحث عن الصراط المستقيم وأن تجتهد في معرفته، وأن تجاهد نفسك على لزومه وسلوكه والله يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت:٦٩].

أما من يقول في صلاته: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ وإذا انتهى من الصلاة فتح الكتب التي تشمل على البدع والأهواء والضلالات والآراء الباطلة يتعلّم منها ويتلّقى عليها ويُفيد منها فأين هذا الدعاء من هذا العمل وهذا المسلك؟! فلابد للداعي والسائل صراطَ اللهِ المستقيم أن يُتبع دعاءه وسؤاله بالجدّ والاجتهاد في معرفة الصراط المستقيم، وأيضاً في تطبيقه لهذا الصراط ومجاهدة نفسه على العناية به.

---

(١) **مسلم**: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والإستعانة بالله وتفويض المقادير لله، حديث رقم (٢٦٦٤).

ولهـٰذا سورة الفاتحة لا تزال -مع عنايتك بها وتدبرك لها- لا تزال تغرس فيك مرات وكرات الإخلاص للمعبود والمتابعة للرسول، وإذا كنت تحسن فهم هـٰذه السورة فإنها -بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- تُذهب عن قلبك البدع والأهواء، وتقول عن هـٰذه الأهواء ليست من صراط الله المستقيم، لو كانت من صراط الله المستقيم لبيَّنها الرسول - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ولدعا إليها ولثبتت في سنته، ولهـٰذا تلاوة هـٰذه السورة علاج شفاء وربط بسبيل الله المستقيم وصراطه القويم الذي دعا إليه رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه-.

أين أهل الأهواء والبدع من هـٰذه الدعوة المباركة الكريمة ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ﴾ وهم صباحاً ومساءً في البدع والأهواء والآراء والضلالات التي ما أنزل الله بها من سلطان، وليس عليها في كتاب الله ولا سنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حجة ولا برهان؟

أين سؤالهم الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يهديهم صراطه المستقيم، فالذي يتدبر هـٰذه السورة ويعتني بفهمها تغرس فيه الإخلاص للمعبود والمتابعة للرسول؛ وهما شرطان، لا قبول لأيّ عمل من الأعمال إلا بهما.

ومن دروس هـٰذه السورة العظيمة أنّ فيها بيان لمقام الدعاء، وعظيم شأنه، ورفيع مكانته، وحاجة الناس الشديدة إليه، وأنّ الدعاء مفتاح كلّ خير في الدنيا والآخرة، وأنك لا صلاح لأمورك كلها وشؤونك جميعها الدينية والدنيوية والأخروية إلا بالالتجاء إلى الله والاعتصام به ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١)﴾[آل عمران:١٠١]، فلا سبيل لتحصيل أي خير وأي فلاح في الدنيا والآخرة إلا باللجوء الكامل إلى الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الدعاء مفتاح كل خير"، والدعاء هو ذلٌّ لله -عَزَّ وَجَلَّ-، وافتقار بين يديه، والتجاء كامل إليه، وطلب منه، وتفويض إليه.

فهـٰذه السورة تغرس فيك حاجتك إلى دعاء الله، وافتقارك إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فالصراط المستقيم حتى وإن عرفته وإن عرفتَ حسنه وجماله وكماله وعِظَم عائدته على أهله في الدنيا والآخرة لا تستطيع أن تسلكه إلا إذا هداك الله إليه، وتفاصيل هـٰذا الصراط أو التفاصيل المتعلقة بهـٰذا الصراط والثبات على هـٰذا الصراط والممات عليه لا يمكن أن يحصل لك إلا إذا هداك الله وثبتك، وقد كان الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- يقولون كما في صحيح البخاري:

لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا

وفي رواية: ولا تصدقنا ولا صلينا

فلا تستطيع أن تمشي في صراط الله المستقيم ولا خطوة واحدة إلا إذا هداك الله إليه، فأنت بحاجة إلى دعاء الله، أنت فقير إلى الله —سبحانه وتعالى- بأن يهديك إلى صراطه المستقيم، وقد كان كثيراً ما يأتي في دعاء النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سؤال الله الهداية، كما في قوله: ((**اللهم إني أسالك الهدى والسداد**))،[1] وقوله: ((**اللهم إني أسالك الهدى، والتقى، والعفة، والغنى**))،[2] وقوله في دعاء القنوت: ((**اللهم اهدني فيمن هديت**))،[3] ولاحِظ ((**اهدني فيمن هديت**)) تستحضر أنّ الهادي هو الله، يعني أسألك سبيل من هديتهم، فالهداية منَّة من الله ﴿**أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء**﴾[فاطر:٠٨] فأنت لتسلك صراط الله المستقيم بحاجة أن يهديك الله صراطه المستقيم، ولا تستطيع الثبات عليه إلا إذا ثبّتك الله، وقد كان -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يقول في دعائه: ((**يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك**))،[4] وكان يقول في دعائه: ((**اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، أعوذ بعزتك، لا إلـٰه إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**))، رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.[5]

فهـٰذه السورة فيها ربط للعبد بالله، وإيجاد لصلة بالله وافتقار واحتياج إلى الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لكي تكون من المهتدين لكي تكون من أهل الصراط المستقيم.

وكما أنّ فيها بيان لحاجتك إلى الدعاء وشدة افتقارك إلى الله — – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ففيها بيان للأدب الذي ينبغي أن تكون عليه في دعاء الله، فأنت عندما تدعو الله تقدِّم بين يدي دعائك ثناءً على الله وتمجيداً لله وتفويضاً لله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ثم تسأل.

---

(1) **مسلم**: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، حديث رقم (٢٧٢٥).

(2) **مسلم**: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، حديث رقم (٢٧٢١).

(3) **سنن الترمذي**:: كتاب الوتر، باب ما جاء في القنوت في الوتر، حديث رقم (٤٦٤).
سنن أبي داوود، كتاب الصلاة، باب القنوت في الوتر، حديث رقم (١٤٢٥).
قال الشيخ الألباني: صحيح.

(4) **سنن الترمذي**: كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمـٰن، حديث رقم (٢١٤٠)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(5) **البخاري**: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وه العزيز الحكيم﴾..، حديث رقم (٧٣٨٣).
مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر عمل ومن شر ما لم يعمل، حديث رقم (٢٧١٧). واللفظ له.

جاء في صحيح مسلم[1] من حديث أبي هريرة عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: ((**قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين**))، يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: "سورة الفاتحة قُسمَت بين الله والعبد نصفين، فثلاث آيات ونصف لله، وثلاث آيات ونصف للعبد"، ((**قسمت الصلاة**)) والمراد بالصلاة الفاتحة، وسميت الفاتحة صلاة لأنّ لا صلاة إلا بها، وهٰذا يدلُّنا على عظم شأن هٰذه السورة الكريمة ((**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله: حمدني عبدي.، فإذا قال: ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾، قال الله: أثنى عليّ عبدي. فإذا قال العبد: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قال الله: مجدني عبدي.**)) وقال مرة: ((**فوّض إلي عبدي**))

هٰذا الحمد والثناء والتمجيد يأتي بين يدي الدعاء، فقولك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حَمْدٌ لله، ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ ثناء على الله وتوسُّع في الثناء على الله، ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ تمجيد لله، والمجد معناه في اللغة: السَّعة، فأنت في ثناء ومبالَغة في حمد الله والثناء عليه وتعظيمه -جل وعلا- بين يدي دعائك، وقبل ذلك أيضا تعترف بالعبودية له: ﴿إياكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فهٰذه كلها وسائل بين يدي دعائك، فأنت تتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وتتوسل إليه بعبوديتك له وذلك بين يديه وافتقارك التام إليه.

ثم يأتي الدعاء: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾، ففي هٰذا بيانٌ لمقام الدعاء وبيانٌ للأدب الذي ينبغي أن يكون عليه الداعي، ((**فإذا قال العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قال الله: هٰذا بيني وبين عبدي**))، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لله، ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ للعبد، فالعبد هنا يطلب مصالِحه وحاجاته من الله -سبحانه وتعالى-، وعبوديته وذله خضوعه كلّه يصرفه لله، فهٰذا بيني وبين عبدي، ((**فإذا قال العبد: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ (٧)﴾ قال الله: هٰذا لعبدي ولعبدي ما سأل**)).

ابن القيم -رحمه الله- في بعض كتبه يلفت إلى لفتة لطيفة: عندما تقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)﴾، ماذا يقول الله؟ حمدني مَن؟ حمدني عبدي، فإذا قلت: ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (٣)﴾ يقول الله: ((**أثنى عليّ عبدي**))، وإذا قلت: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)﴾ يقول الله: ((**مجدني عبدي**))، فأنت في كل مرة تقرأ فيها الفاتحة تحظى بقول الله عنك: عبدي ،عبدي، عبدي، ثلاث مرات. ويقول

---

[1] **مسلم**: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، حديث رقم (٣٩٥).

ابن القيم في هـٰذا المقام: "لولا ما على القلوب من الغشاوة والتعلق بالدنيا، لطارت فرحاً بقول الله عنك: عبدي، عبدي، عبدي"، لكننا مشغولون. فهـٰذا أيضاً من دروس هـٰذه السورة العظيمة.

ومن دروس هـٰذه السورة الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالنُّبوات.

ومن دروسها كذلك الإيمان بالقدر.

ومن دروسها أيضاً معرفة العبد ربه.

ومن دروسها ومعرفة العبد لنفسه، وضعفه وحاجته وافتقاره إلى ربه.

وهي مليئة بالدروس العظيمة والعبر البالغة والدلالات النافعة، ولعل فيما سمعناه من دروس حول هـٰذه السورة كفاية.

ونسأل الله -جل وعلا- أن ينفعنا بما علَّمنا، وأن يهدينا وإياكم صراطه المستقيم، وأن يوفقنا لكلّ خير يحبه ويرضاه في الدنيا والآخرة.

والله -تعالى- أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الفهرس

المقدمة.. ٢
معنى (أم القرآن)... ٢
دروس مستفادة من الفاتحة ٦
دلالة الفاتحة على التوحيد... ٦
دلالة الفاتحة على أركان التعبد القلبية... ٧
اشتمال الفاتحة على شرطي قبول الأعمال.................................. ١٠
الفاتحة فيها بيان لمقام الدعاء وعظيم شأنه ١٣
الفاتحة فيها ربط للعبد بالله ١٤
دلائل أخرى للفاتحة... ١٦
الفهرس... ١٧

❁❁❁❁